براءة أهل السُّنّة

من الوقيعة في عُلماء الأمة

بقلم

بكر بن عبد الله أبو زيد

وقف لله تعالى
على نفقة بعض المحسنين
جزاه الله خيراً

أجيز طبعه من إدارة المطبوعات
بوزارة الإعلام في الرياض
برقم ٦٧١٢م في ١٨/١٢/١٤٠٧هـ.

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م
الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة العلامة الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد وكيل وزارة العدل. لازال مسدداً في أقواله وأعماله، نائلاً من ربه جزيل نواله، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فقد اطلعت على الرسالة التي كتبتم بعنوان «براءة أهل السنة، من الوقيعة في علماء الأمة» وفضحتم فيها المجرم الآثم محمد زاهد الكوثري بنقل ماكتبه من السب والشتم والقذف لأهل العلم والإيمان واستطالته في أعراضهم وانتقاده لكتبهم إلى آخر مافاه به ذلك الأفاك الأثيم، عليه من الله مايستحق كما أوضحتم أثابكم الله تعلق تلميذه الشيخ عبدالفتاح أبو غده به وولاءه له وتبجحه باستطالة شيخه المذكور في أعراض أهل العلم والتقى ومشاركته له في الهمز واللمز، وقد سبق أن نصحناه بالتبرىء منه وإعلان عدم موافقته له على ماصدر منه وألحنا عليه في ذلك ولكنه أصر على موالاته له هداه الله للرجوع إلى الحق وكفى المسلمين شره وأمثاله.

وإنا لنشكركم على ماكتبتم في هذا الموضوع ونسأل الله أن يجزيكم عن ذلك خير الجزاء وأفضل المثوبة لتنبيه إخوانكم إلى المواضع التي زلت فيها قدم هذا المفتون أعني محمد زاهد الكوثري كما نسأله سبحانه أن يجعلنا وإياكم دعاة الهدى وأنصار الحق إنه خير مسئول وأكرم مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد



المقدمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فهذه أكتوبة تنطق بـ«**براءة أهل السنة من التكفير، والقذف والتنقص لطائفة من علماء الأمة**»، لتكشف عن شخصين في حقيقتهما، حتى تصيح الحقيقة بهما من كل جانب، وتضرب بأشعتها على رؤس أقلامهما :

أحدهما(١) : بطانة هذا المسلك.

والثاني(٢) : ظهارته.

الأول : مِدْرَهُ طعنٍ فَوَّقَ سهامه بهذه المباني المروعة والعبارات المرهقة، وهو منفلت العنان ذَرِب اللسان بهتك الحرمات والمحارم، فَيَلِغُ في أعراض الأبرياء، و يكفر أساطين العلماء، و ينتقص منارات الهدى. كل هذا ليكثر سواد

---

(١) محمد زاهد بن الحسن الكوثري.

(٢) من تكنى به ونسب نفسه إليه : أبو زاهد عبدالفتاح أبو غدة الكوثري.

مزاعمه لسواد مشاربه في أمراض متنوعة: من التقليد الأصم، والتمشعر بغلوٍّ وجفاء، والتصوف السادر، والقبورية المكِبَّة للمخلوق عن الخالق.

والثاني: يحتضن حاملها هذا، ويحيي ذكره، وينشر كلمته، ويبذل في سبيله مهجته. مفتوناً به فتوناً بمحبة جامحة، وهوى أكمه، فرمى بنفسه في حبائله واحترق فيه، وصار أتبع له من ظله، وكأنما أخذ على قلمه ميثاقاً غليظاً أن لا يفتأ من ذكره، وأن ينظم مايقرؤه في ألواح عواطفه عنه، وتعاطفه معه ـ أمام القراء والدارسين ـ في صورة أفراد خير القرون، مع سكوت طويل عن ضراوته...

في مسلك لا يطيقه إلا من فُرِضَ عليه بسلطة قاهرة؟

وكان الأول «**صريع أهل السنة**» قد فُرغ منه، إذ أطيح به بردود متعاقدةٍ متناصرة، كاشفة خبيئته، موضحة حقيقته:

جَاءتْ تَهَادى مُشْرِفاً ذراها
تحن أولاها على أُخْراها

فطاح جملةً واحدة، ولن تجد له بَعْدُ من الراسخين في العلم تَبِيْعاً، لاسيا بعد صدور كتابَي «**التنكيل...**»

و«طليعته» لذهبي العصر العلامة المعلمي، م سنة ١٣٨٦هـ رحمه الله تعالى.

وهذه ولله الحمد ـ سُنَّة ماضية في حفظ الله لدينه مادام في الأرض كتابٌ يتلى، وسُنَّة تدرس، وفي القلوب عقل وإيمان. فإن هذا وأمثاله لا مكان لهم في سجل العلماء المعتدِّ بهم إلا على سبيل إسبال بُردة التفنيد، والرمي في وجهته بكل نقدٍ وتنقيد.

لكن ظهارته خفقت فيه رياحه، فتكايَسَ بالركض وراءه، وأفرغ مُهْجَتَه بالتمدُّح به، وامتلأ قلبه بتعظيمه ومحبته له حتى بلغ من شدة تعلقه به أن تكنى به ونسب نفسه إليه، وطفق منحدراً في مديحه خالعاً عليه غلائل التقديس المُصَبَّغَة بغلو وإسهاب، ونَصَب قلمه لنشر مقولاته. ثانياً عطفه عن تعقبه في سبله الفجة، وميله عن المحجة، بل سرت عدواه إليه في جمله من تعليقاته، وكانت نقوله عن هذا «المهاتر» في موطن من أشرف المواطن «علوم السنة النبوية»؟

فانظر كيف يُوْرِدُ مُمْرِضاً على مُصح، متغمغماً في غَمَراته، كأنه لا يحرك قلمه تحريكَ من يشعر بأن في الدنيا شيئاً يقال له: «التاريخ».

والتاريخ الصحيح يضرب المتمرد عليه في تفضيل النفاية على النقاوة بيد قاسية، تخفق لطماتها في الآفاق، فتجلله عار الأبد.

فالتاريخ من ورائه محيط، وعلى مغامزه شهيد.

وفي كل هذا تدليل على مكنون يقينه، ومرمى اعتقاده فلا جرم إذ دفع قلمه ينقر بشوكته في هذا «**المَهْيع**» فدس مولود انتصاره في صفوف القراء والدارسين للسنة المشرفة وعلومها ــ كما سيمر نظرك عليه بعد إن شاء الله تعالى ــ أن يجري تسطير هذه النقول الموثقة وسياقها إلى مشهد أنظار أهل السنة، لكف بأسها، وسد طرق التشغيب بها، وليبتعد المفلحون عن هذه الخطة المندسة في صفوفهم، و يغسلوا أيديهم من كاتبها وماكتب في مشارب كدرة بالتصريح حيناً والتلويح أحياناً.

وهي نقولٌ تجري سياقتها على شيمة الكرام «**وإذا مروا باللغو مروا كراما**»؛ لأنها كفيلة بأن يقوم بردها على عقبها صدورها فيستغنى عن تسويد الأوراق بمطارحته فيها، ولأنها تحكم على قائلها، ومُرَوِّجِها، وحاضن مبتدعها ــ بما يتلاقى معها شرعاً بمجرد النظر فيها، منتجة الإشراق أمام كل طالب علم ــ لمحيا تقعيد لاينفد، وتأصيل لا ينقطع، بالإعراض عن

هذا الطراز وإنتاجهم، وعدم النقل أو العزو إليهم، حتى يخوضوا في حديثٍ غيره.

وَليُعْلَمَ أن في عُلَماء السنة غِنىً عن هذا الغثاء، وفي كتبهم وإنتاجهم مايشفي غلة كل غليل.

وَليعْلَمَ التلميذ أنه محجوج ممجوج بهذه المساوقة التي ركب لها غارب عشواء، وفتح عينيه لها في ليلة ظلماء.

وكم تَمَنَّينا لو طوى الثوب على غِرَّة، ليستمر طي بساط التحذير بِمَرَّة، لكنه أورث البحثرة بالدعاية لهذا البائس والغبطة به وبمزاعمه المنبوذة، والبادىء أظلم، فلابد إذاً أن يحمل أهل السنة في أناملهم أقلام النُّصرة لها بكلمة حق يخر لها «الباطل» صعقاً، ولتفضح «المبطل» بنشر مُثل من بواطله تحذيراً من فتنه وبواقره، ودفعاً لخبائثه، بشاهد عدل يناجي القارىء من صريف قلمه بكلمات هو قائلها.

ثم لتنفض عن الأنظار غبار الترويج، وتحسر عن أناس يحملون على رؤسهم بياضاً وفي قلوبهم سواداً، معلنةً أنه لامكان للمُسْتَخْفِين والساربين هنا: ذلك بما عملته أيديهم.

وبه تعلم أنه ليس القصدُ هنا الكشفَ عن ذاك المبتلى، وإنما المسير إلى الكشف عمن خلفه بالعض على هذا البلاء

بطريق نصرته البالغة لبائس تشعبت به الأهواء، قد فرغ أهل السنة من الإطاحة به.

وقد قال العلامة محمد بهجت البيطار في رسالته «الكوثري وتعليقاته» ص/٢٦:

(وجملة القول : أن هذا الرجل لا يعتد بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولابدينه، ومن يراجع تعليقاته يتحقق صدق ماقلناه) اهـ.

وهذا الدفاع مما نحتسبه عند الله كفاحاً عن أعراض العلماء وصوناً لأفكار الناشئة من هذا الوباء، مبتعدين عن النزاع والمماظة، والخوض في تلك المخاضة، ولكن «من جر أذيال الناس بباطل جروا ذيله بحق».

فإلى حقائق تميط الأذى عن الطريق، طالما غفل عنها أُناس وتغافل عنها آخرون، معقودة في نماذج من عدوانه، ووجوه مساوقة تلميذه له، ليرى أهل العلم ماذا يحتضنون، وماذا يراد بهم ـــ من إيجاد الطائفية، وهم نائمون، وفي الإشارة مايغني عن طول العبارة. والله المستعان.

وعليه فأقول :

اعلم أنه ظهر ثلاثة كتب يتكون كل واحد منها من:

أصل، وحاشية، وهي:

«الرفع والتكميل» و«الأجوبة الفاضلة» كلاهما للشيخ عبدالحي اللكنوي، م سنة ١٣٠٤هـ رحمه الله تعالى.

وَكُلٌّ واحد منهما يمثل رسالة بقدر بسطة اليد، ولو وضعت في ظرف لوسعها، لكن صار نفخهما بتكبير الحرف، وإطالة التعليقـــات. وثالثها «إنهاء السكن» مقدمة «إعلاء السنن» للشيخ ظفر التهانوي، م سنة ١٣٩٤هـ رحمه الله تعالى، وكان مطبوعاً في مجلدة لطيفة. ثم طبع بعد باسم «قواعد في علوم الحديث» في مجلد كبير للسببين المذكورين في سابقيه.

والناظر فيها تقوم عنده بالدلائل الجلية أمور ثلاثة :

الأول : أن مافي هذه الأصول من علم نافع هو في الجملة نصوصٌ مِن تَتَبُّع «الميزان» للحافظ الذهبي، و«اللسان» و«التهذيب» و«هدي الساري» ثلاثتها للحافظ ابن حجر.

ومن يقف على هذه يتحصل على أضعاف ما وقفا عليه من القواعد وفرائد الفوائد في الجرح والتعديل، ولعل سبب العدول عن ذكرها أنها لا تخدم ماستراه في الأمر الثاني.

الثاني : أن هذه الأصول الثلاثة، أسست لنصرة أصول مدرسة أهل الرأي «الحنفية»، ولهذا ترى فيها جوراً عن قصد السبيل في مواضع، بصرف بعض تلك النصوص عن وجهها، وإن كان اللكنوي رحمه الله تعالى أخف من التهانوي رحمه الله تعالى.

وللعصبية هُواة، وكم جرت من مهازل.

ولا يُعلم في المذاهب السُّنِّيَّة أعظم تعصباً من الحنفية، كما هو محرر في محله لدى أهل العلم، ومنهم: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «منهاج السنة النبوية» [1]، وابن أبي العز الحنفي، م سنة ٧٩٢هـ رحمه الله تعالى في كتابه «الاتباع» [2].

الثالث : أن ذاك «مُحَضِّر النصوص» [3] ـ أثقلها بالحواشي التي شدت على هذا الانتصار بتجسيد المذهب الحنفي، والتمشعر، حتى امتلأت بهذه النصرة خاصرتا حواشيه بما يشهد الناظر فيها أن هذه هي الروح التي تموج في جسم تلك الحواشي من رأسها إلى عقبها، مع مافيها من المحامل

(١) ٢/١٤٣، ٦٦.
(٢) ص/٨.
(٣) لقبه بذلك الشيخ عبدالله بن الصديق الغماري في مجلس مشهود.

البعيدة والمغامز، والتَّذَرُّع بكلام الشيخين : ابن تيمية، وابن القيم رحمهما الله تعالى ـ في مواضع، في ضروب من التعسف بالاستدلال واجتزاء النقول، والحط عليهما حيناً، ونقل كلام خشن في حقهما أحياناً، وانتقاد مسلكهما. إلى آخر ما أفْضَتْ إليه النوبة عن شيخه بقلمه الهماز في هذا المَهْيَع. مثل :

همزه ابن القيم رحمه الله تعالى بأنه :

«تغلبه عادته ومشربه المعروف» أي في الحكم على الأحاديث صحة وضعفاً في: أبواب التوحيد.

فقال في تعليقه على «الأجوبة الفاضلة» ص/١٣٠ ــ ١٣٢: (أما ابن القيم فمع جلالة قدره، ونباهة ذهنه، ويقظته البالغة، فإن المرء ليعجب منه رحمه الله تعالى كيف يروي الحديث الضعيف والمنكر في بعض كتبه كمدارج السالكين من غير أن ينبه عليه.

بل تراه إذا روى حديثاً جاء على مشربه المعروف، بالغ في تقويته وتمتينه كل المبالغة، حتى يخيل للقارىء أن ذلك الحديث من قسم المتواتر في حين أنه قد يكون حديثاً ضعيفاً أو غريباً أو منكراً، ولكن لما جاء على «مشربه»

جمع له جراميزه، وهب لتقويته وتفخيم شأنه بكل ما أوتيه من براعة بيان وقوة لسان...)اهـ.

وهكذا، كسكوته في حواشيه على الأحاديث التي تعالج المشرب الخلفي، ولو كانت مرفوضة سنداً مثل :

«من زار قبري وجبت له شفاعتي».

فإنه في «الرفع والتكميل ص/١٦٣» و«الأجوبة الفاضلة ص/١٥٥» ولم يعلق عليه.

وهو في «الرفع والتكميل» ذكر كلام السبكي في: موسى بن هلال في «شفاء السقام» وذكر محشيه أنه فيه ص/٩. والذي في ص/٩ من شفاء السقام هو: الحديث المذكور وفي سنده: موسى بن هلال.

قال في نفس الصفحة رقم/١٦٣ من حواشيه على «الرفع والتكميل» عن السبكي:

(وله مناظرات مع معاصره ابن تيمية الحراني الحنبلي وهو مصيب في أكثرها. توفي سنه ٧٥٦هـ رحمه الله تعالى)اهـ.

وفي ص/١٩٨ ــ ١٩٩ من تعليقه على «الرفع

والتكميل» ذكر ترجمة اللكنوي لابن تيمية ومنها قوله:

(وقد نقل عنه عقائد فاسدة....).

ولم يتعقبه هنا ولا في تعليقته على «إقامة الحجة ص/٢٩».

كما تابع شيخه في التنقص من أمير المؤمنين الإمام البخاري صاحب الصحيح رحمه الله تعالى في: مبحث الإرجاء من أن الإيمان هو «التصديق» حيث لم يخرج في صحيحه عن من يعتقد ذلك، وأنه لم يخرج إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فساق في كلام لشيخه من «تأنيب الخطيب ص/٤٤ ــ ٤٥» قوله:

(ومن الغريب أن بعض من يَعُدُّونه من أمراء المؤمنين في الحديث يتبجح قائلاً : إني لم أخرج في كتابي عمن لايرى أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، مع أنه أخرج عن غلاة الخوارج ونحوهم في كتابه...)اهـ.

إلى آخر ماجَرَّت إليه هذه النصرة التي رأى وسيرى الناظر فيها كظيظاً من الانتصارات، والمخاصمات، من طرف مدرسة الرأي: أمام كل تقعيد علمي ينصره الدليل.

وهـي : اجـتـرار لأنفاس «مجنون أبي حنيفة» [١] ـــ في مشاربـه مـن أهـواء طاغية في «الاعـتـقـاد، والتقليد الأصم، والـسلوك» ومن أجلها: انقلب إلى الدرك الأسفل من حرفة: التكفير، والقذف، والتنقص لكل من يناهض هذه المشارب، فـقـذف غـيـــظاً، ورجم غيباً: بَرَكَ الإسلام، وأئمته الأعلام، وطـالـت نـبـاله بعض الصحابة رضي الله عنهم فطوَّح به نزق التمـرد إلـى رميه أنساً رضي الله عنه بما يعني «الهرم واختلال الضبط» [٢] . وبالتالي رفض مروياته؟

ورحـم الله أبـاحـاتم الـرازي إذ قـال: «عـلامـة أهـل الـبدع الوقيعة في أهل الأثر».

ومـن انـسـاب قـلـمـه في هذه المفازة المُضِلَّة غلبت شهوتُه وعاطفتُه: عِلْمَه وَرَوِيَّتِه؟.

ومنه :

رمـيه ابن القيم رحمه الله تعالى بألفاظ متعفنةٍ يأبىٰ الطبع سـمـاعها، حشرها في رسالة واحدة هي «تبديد الظلام المخيم

---

(١) لـقـبـه بـذلـك : أبـو الـفـيض أحمد بن الصديق الغماري، كما في: كتاب بدع التفاسير ص/١٨٠ لشقيقه عبدالله الغماري. والجنون وراثة.

(٢) كما في : التأنيب ص/٨٠. وانظر نقضه في: التنكيل ٢١٩/١، وطليعته ص/ ٦٤ للمعلمي رحمه الله تعالى.

من نونية ابن القيم» الذي علقه على كتاب السبكي «السيف الصقيل في الرد على ابن زَفِيل» ــ في الرد على نونية ابن القيم المسماة:

«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

أسوق هنا بعضها مع ذكر صفحاتها. فقد رمى ابن القيم:

(بالكفر ص/٢٢، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٦، ٦٦، ١٧٠، ١٨٢. والزندقة ص/١٨٢.

وأنه : ضال مضل ص/٩، ١٠، ٢٢، ٢٣، ٣٧.
زائغ ص/٩،١٦،١٧،٢٢،٢٨،٣٥،٣٧.
مبتدع ص/٨.
وقح ص/٤٧، ١٦٨.
كذاب ص/٤١، ٥٧، ١٦٨.
حشوي ص/١٣، ١٤، ٣٩.
بليد ص/٦٦.
غبي ص/١٠.
جاهل ص/٢٥، ٦٠.
مهاتر ص/٢٧.

خارجي ص/٢٨.
تيس حمار ص/٢٨، ٥٩.
ملعون ص/٣٧.

لايزيد عنه في الخروج على الإسلام والمسلمين لا الزنادقة ولا الملاحدة ولا الطاعنون في الشريعة. ص/٥٧.

من إخوان اليهود والنصارى. ص/٣٩.
منحل من الدين والعقل. ص/٦٣.
ولما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «الجهمية» :

إن المعطل بالعداوة معلن والمشركون أخف في الكفران

قال السبكي في رده عليه :

(مالمن يعتقد في المسلمين هذا إلا السيف).

قال معلقه في «تبديد الظلام المخَيِّم» مؤيداً كلام السبكي:

(لأن ذلك ــ أي كلام ابن القيم ــ زندقة مكشوفة، ومروق ظاهر، وإصرار على اعتقاد الإيمان كفراً، قبحه الله

كيف يعتقد في المشركين أنهم أخف في الكفر من المؤمنين المنزهين ــ يعني بذلك المعطلة ــ والشيخ الإمام المصنف رضي الله عنه ــ يعني بذلك السبكي ــ رجل معروف بالورع البالغ واللسان العفيف، والقول النزيه، لا تكاد تسمع منه في مصنفاته كلمة تشم منها رائحة الشدة ولينظر القاريء حاله هذا مع قوله في ابن القيم «ماله إلا السيف».

إنه إن فكر في هذا قليلاً، علم العلم القاطع أن هذا الناظم بلغ في كفره مبلغاً لا يجوز السكوت عليه ولا يحسن لمؤمن أن يغض عنه، ولا أن يتساهل فيه) اهـ.

ويقول ممتدحاً نفسه وكتابه هذا [١] :

(وكتاباته ــ يعني نفسه ــ ولاسيما الرد على نونية ابن القيم دواء شافٍ للمرض بداء التجسيم والوثنية) اهـ.

ثم يأتي التلميذ، ولا ينفي ذلك عن ابن القيم، بل يقبض قبضة من آثار أستاذه فينبذها في حواشيه وتعليقاته مشتدة حفاوته بهذا الكتاب ممجداً له هو ومؤلفه فيقول [٢] :

(١) المقالات ص/٤١٧.

(٢) الأجوبة الفاضلة ص/٣٠١.

(وتجد نماذج كثيرة من هذا النوع[1]، في «نونيته» المسماة «الكافية الشافية»[2]. وقد استوفى نقد مافيها الإمام تقي الدين السبكي في كتابه «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل». وشيخنا الإمام الكوثري في تعليقه عليه الذي سماه:

«تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم»)اهـ.

وقال أيضاً[3]:

(ولشيخنا الكوثري ــ رحمه الله تعالى ــ كلمة جامعة في حال الذهبي فقف عليها في تعليقه على رد السبكي على نونية ابن القيم، المسمى: «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل»)اهـ.

وقد شحن هذه التعليقة الآثمة بسهام خاسئة من الثلب، وسافل الكلم في حق الحافظ الذهبي، والنقول عن أعدائِه

---

(١) أي من الأحاديث التي يصححها ابن القيم على مشربه السلفي كما في ص/١٣٢ من : حاشية الأجوبة الفاضلة.

(٢) اسمها الكامل «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

(٣) الأجوبة الفاضلة ص / ٣٠٢.

في ذلك في سبع صفحات من ص/١٧٦ ـ إلى ص/١٨٢ بمالا يُستكثر منه بجانب ما سمعته عنه في حق ابن القيم وغيره، ونقول:

الله حسبه، وهو سبحانه الموعد،والكلام الساقط مسقط لقائله.

والشأن هنا أن تنظر رحمك الله تعالى كيف يُثني التلميذ على هذه التعليقة المثقلة بذلكم الهذيان من ذلك المهذار المهاتر، وهي في حقيقتها نقض لاعتقاد السلف، لأن النونية المسماة «الكافية الشافية في اعتقاد الفرقة الناجية» تعني تقرير اعتقاد السلف، والنقض على الفرق والمذاهب الضالة، فمن يثني على نقدها لا يعتقد مافيها.

وكيف يتمدح بمؤلفها وهي : مشحونة بالتكفير والتجديع لعلماء السنة وأتباعهم.

وما التمدح بمن يرمي المسلمين في صميم علمائهم إلا ممن يسره كثرة سواد المنسلخين من اعتقاد السلف، ولا أظن عامياً على فطرته السليمة يفهم غير هذا.

وكيف يصيح مغتبطاً بهذا اللغط في وسط جزيرة العرب، وأمام شُداة الاعتقاد لمذهب السلف الأخيار، كأنهم

في حساب المُسْتَخِف صم بكم لا يعقلون.

إن لم يكن هذا هو عين الاستخفاف والاستغفال فلا يعرف لهما سواه من سبيل؟

وكيف يصح لأهل السنة بعد هذا: شهر كتبه، والحفاوة به وبها. وبالتالي بمن ينفخ بشأنه وشأنها، ويذكي جذوتها. إن لم تكن علوم الحديث إلا عند هؤلاء فعليها وعلى حملتها السلام.

وإن كنت لا تزال في ريب مما يَدْعُو إليه ونُحَذِّر منه فإليك نماذج تعطيك برد اليقين في كشف الكمين:

١ ــ عدوانه على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

يقول في «المقالات ص/٣٩٩» :
(وقد سئمت من تتبع مخازي هذا الرجل المسكين، الذي ضاعت مواهبه في شتى البدع، وفي تكملتنا على «السيف الصقيل» مايشفي غلة كل غليل، في تعقب مخازي ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم)اهـ.

ويقول في تقديمه لكتابَي سلامة القضاعي الشافعي

المطبوع عام ١٣٦٦هـ. بمطبعة السعادة بمصر، وهما:

«البراهين الساطعة على رد بعض البدع الشائعة» و«براهين الكتاب والسنة القاطعة على وقوع الطلقات مجموعة منجزة أو معلقة» يقول ص/:

(ويرى ابن تيمية فرقاً بين حياته عليه السلام وبين انتقاله إلى الرفيق الأعلى في جواز التوسل به ـ إلى أن قال: والذي أخذه الشيخ الحراني من اليهود لاينحصر في هذا الفرق، بل أخذ أيضاً القول بتجويز حلول الحوادث في الله سبحانه من كتاب: المعتبر لأبي البركات ابن ملكا فيلسوف اليهود المتمسلم...)اهـ.

وفي «صفعات البرهان ـ له ص/٢٩» قال فيه أيضاً وفي مؤلفاته :

(... ومع ذلك فيها جميع ماسبق على ألوان من الخداع بل لايقدر أن يتكلم قدر ورقة أو ورقتين في أي كتاب من كتبه دون أن يدس فيها شيئاً من بدعه، وكل ميزته كونه سلس الكلام لا يستعصي عليه طريق في التمويه، حتى لم أر أجرأ منه على البدع، وأكثر منه تناقضاً ممن يذكر بعلم. ويعجب الإنسان من تصرفه في أقوال العلماء، وروايته لها

بـألـفـاظ تـدل على معان تبعد كل البعد عن معاني ألفاظهم وهـذا ممـا جـربـتـه عـليه في مواضع لا تعد. وأما في تراجم الـرجـال فـيـجـعـل الـكـبير صـغـيراً، والصغير كبيراً إذا أعوزه الـبـحـث إلـى ذلك، وفي نسبة الرجال إلى الآراء والمذاهب يـتـنـاقض كلامه في مقام ومقام إلى نحو ذلك، ومن يقع منه أمثال هذه التصرفات إما أن يكون في عقله شيء ربما يكون الـقـلـم مـرفوعاً عنه. وقد تكون رغبته عن النكاح طول عمره مع سـلامـة الـبـنـيـة والصحة التامة وقوة الجسم أورثت هذه الحالة الشاذة في عقله....)اهـ.

و يـقـول فـي «تـبـديـد الـظـلام المخيم من نونية ابن القيم ص/٨٠»: (بـل هـو ــ أي ابن تيمية ــ وارث علوم صابئة حـران حـقـاً، والمـستلف من السلف مايكسوها كسوة الخيانة والتلبيس...) اهـ. و يقول أيضاً:

(ومن اتخذه إماماً إنما اتخذه إماماً في الز يغ والشذوذ من غير أن يتهـيـب ذلـك الـيـوم الـذي يـدعـى فـيـه كـل أنـاس بإمامهم)اهـ.

ولشداة علماء السلف أن يتمثل في وجه من يناهضهم :

هـاشـمٌ جـدنـا فـإن كـنـتِ غَـضْبَـى
فـامـلـئـي وجـهَـك الجـمـيـلَ خُـدوشـا

٢ ــ عدوانه على علماء الحديث :

ثم اعتدى اعتداءً سافراً فسلق كل من كان سلفياً على اعتقاد أهل السنة والجماعة من علماء الحديث في قديم الدهر وحديثه ــ وذلك بنسبتهم إلى الملل الكافرة التي محاها الإسلام فقال في حقهم من تعليقاته على «ذيول تذكرة الحفاظ ص/٢٦١»[١] :

(ولم يستأصل الإسلام من عقولهم بعد شأفة نِحَلِهِم التي كانوا عليها قبل الإسلام من: يهودية بفلسطين، ونصرانية بالشام، ووثنية بالبادية، وصابئة بِحَرَّان وواسط عبدة الأجرام العلوية وغيرها من قدماء المشبهة ظانين أن ماهم عليه هو الاعتقاد الصحيح في الله...)اهـ.

ومعلوم أنه يريد خيار عباد الله من علماء الإسلام في هذه الديار، فيريد مثلاً بصابئة حران: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ويريد بوثنية البادية: الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى... وهكذا.

---

(١) للعلامة محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى رد عليه باسم «عدوان على علماء الإسلام يجب أن يكون له حد يقف عنده» نشر في: مجلة الزهراء ٦/م/٥. وطبع في آخر تعقبه من صاحب الذيول في رده المطبوع عام ١٣٤٨هـ بدمشق.

ومنه في «المقالات ص/٤١٨» تجديعه للعلامة الشوكاني لأنه يناصر السلفية ـ فنقل كلمة ابن حريوة اليمني في الشوكاني إذ قال:

(إنه يهودي مُنْدَسٌّ بين المسلمين لإفساد دينهم)

فأيدها فرحاً بها بقوله:

(وليس ذلك ببعيد لمناصبته العداء لعامة المسلمين وخاصتهم على تعاقب القرون)اهـ.

وما هذا إلا لأن الشوكاني رحمه الله تعالى ينصر اعتقاد السلف.

٣ ـ عدوانه على إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى:

في «المقالات ص/٤٠٩» قال:

(ولهذين الكتابين ـ يعني كتابه السنة، وكتاب نقض الدارمي ـ ثالث في مجلد ضخم يسميه مؤلفه ابن خزيمة «كتاب التوحيد» وهو عند محققي أهل العلم كتاب الشرك، وذلك لما حواه من الآراء الوثنية...)اهـ.

٤ ـ عدوانه على عبدالله بن الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

في «المقالات ص/٤٠٢» عنوان باسم: «كتاب يسمى

كتاب السنة وهو كتاب الزيغ» ومما قاله عنه ص/٤٠٣:

(والآن نتحدث عن كتاب السنة هذا تحذيراً للمسلمين عما فيه من صنوف الزيغ، لاحتمال انخداع بعض أناس من العامة بسمعة والد المؤلف، مع أن الكفر كفر كائناً من كان الناطق به...) اهـ إلى ص/٤١٢ ثم قال ص/٤٠٥:

(ويوم كان القرامطة يقلعون الحجر الأسود من الكعبة المكرمة كان هؤلاء الحشوية البربهارية يدعون إلى هذه الوثنية ببغداد بالسيف...)اهـ.

عقيدة الصحابة رضي الله عنهم التي ورثوها من أنوار الكتاب والسنة، وتابعهم عليها التابعون لهم بإحسان هذه هي «الوثنية» عنده؟.

٥ ــ عدوانه على الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله تعالى:

في خمسين صفحة من «المقالات ص/٣٥٢ ــ ٤٠١» نَفَضَ ــ وحسابه على الله ــ غيظه على هذا الإمام ومن تابعه في الاعتقاد، ومما قاله ص٣٥٦:

(فياترى : هل يوجد في البسيطة من يكفر هذا الكفر الأخرق سوى صاحب «النقض» ومتابعيه...)اهـ.

وبعد نُقولات حرفها من كتاب الدارمي رحمه الله تعالى قال ص/٣٧٥:

(فقل لي بربك هل يوجد على وجه البسيطة مؤمن يشك فيمن يتفوه بتلك الكلمات ونظائرها ــ وهي كثير في كتبهم أو يرتاب في أنه حاد الله ورسوله، وخرج عن جماعة المسلمين أهذه هي السنة التي يدعون إليها ــ عاملهم الله بما يستحقون وعاجلهم بما يستأهلون من نقمته وعذابه، وأزاح شرورهم، وظلمات شركهم وضلالهم عن هذا البلد المنكود بهم وبرعوناتهم وجهالاتهم)اهـ.

إلى آخر مقاطع من الكلام على هذا المنوال، ومنها: أنه لا تجوز مناكحتهم، ولا إمامتهم كما في ص/٣٨٢. والحكم عليهم بمفارقة جماعة المسلمين كما في ص/٣٩٤.

ماذا بعد هذا إن كان التلميذ يؤمن به ويُؤَمِّن على دعاء شيخه المذكور فكيف يرضى لنفسه ديانة أن يقيم بين ظهراني من يحكم شيخه بأنهم كفار لا تجوز مناكحتهم ولا إمامتهم...؟

وإن كان لايرتضيه فكيف لا ينفيه ويذب عن إخوته في الإسلام؟

وأقل الأحوال لماذا لا يطوي الثوب على غِرَّة، فيترك التمجيد له بِمَرَّه؟

٦ ـ قذفه للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بالصَّبية والسكر:

اشتد فرحه بما ساقه في «التأنيب ص/١٩ ـ ٢٠» بما ذكره سبط ابن الجوزي عن محمد بن طاهر المقدسي في ذلك.

وفي «التنكيل ١/١٣٥ ـ ١٤٥» بين مافي هذه الحكاية من ضعف وانقطاع . وديدن السبط في «مرآة الزمان» بذكر الحكايات المنكرة. وأنه ترفض بعد. وأنه كان سادراً في حنفيته.

فانظر كيف تحمل العصبية الصماء على الاحتجاج بالمقاطيع والمعاضيل وإشاعة الفاحشة بها.

٧ ـ قذفه للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

غمز الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بفعلة شنعاء وكذبة صلعاء، هي من صريح القذف عند الفقهاء.

وفي «بدع التفاسير ص/١٣٩» لعصريه الشيخ عبدالله

ابن الصديق الغماري ذب عن عرض الحافظ ابن حجرمِمّا اختلقه هذا المبتلى.

٨ ــ عدوانه على الإمام الشافعي ورميه في نجاره رحمه الله تعالى:

لقد رمى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في «نجاره» ــ أي نسبه ــ وفي لسانه، وفي ثقته، وفي فقهه، وذلك في «التأنيب» ص/٤، ١٠٠، ٢٣٠. وفي «إحقاق الحق ص/٧». وتجد الرد عليه مبسوطاً في «التنكيل ١/٤٠٣ ــ ٤٣٨»، وأن هذا المسكين يلجأ في دعاو يه إلى غير ملجأ.

إلى غير ذلك في مئات الأعلام من العلماء تتبعه العلامة المعلمي رحمه الله تعالى في «٢٧٣» ترجمة، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وهكذا يتعالج بقرض الأعراض، والتمضمض بالاعتراض وسحب أذيال البغض على كل من ليس «حنفياً، أشعر ياً صوفياً، قبور ياً» مع مهارة بالغة في: التَّقَوُّل، وتحر يف النقول، والتصرف في نصوص المؤلفين، كما فعل في «الانتقاء» لابن عبدالبر، وتداركه: القدسي إلى آخر ماهنالك من الصيال والتصاول، وأسباب الخذلان والتخاذل. ولم نره في شيء مما تقدم ندم على ماقدم.

وفي كتابي «التنكيل» و«طليعته» للعلامة المعلمي رحمه الله تعالى من الردود الموثقة الأمينة من غير سرف ولا مخيلة مايكشف مخازي هذا المبتلى، وأنها كما قال المعلمي في موضع من كتابه ــ أصبحت: «كضرطة عير في الفلا».

ومع هذا :

فهذا التلميذ الوفي لتلكم المشارب الكدرة : يزنه بميزان علماء السلف، مع مارأته عينك الباصرة في هذه النماذج من فحش القول وقبحه، والتبرقع بالصفاقة والحماقة وبث الرِّيَب، وتنزيل السباب والشتائم.

وهذا التلميذ لم نعلمه يتعقبه فيما كتب ولو مرة واحدة في دفع هذه الخبائث من صريح كذبه، أو عدوانه؟

وهذا التلميذ أثقل رسائله وتعليقاته بالنقل عنه بما يزيد عن مائة وعشرين مرة ــ بما يمثل مجموعه مجلدة مستقلة مستغفلاً لعباد الله كأنه يصيح بها في واد لايُنْبتُ إلا أغفالاً شربوا من تلك الأرض. من عمل «جُلَّق». كل هذا يسوقه بقلم الحفاوة والرضا، أليس هذا هو عين المساوقة في : الاعتقاد والرضا؟

وهذا التلميذ صار من أجله «سَمَرياً» [1] يجمع ما يحسبه ناهضاً لمشاربه الكدره وجل الاستدلالات منها كأحاديث السُّمَّار لايهم السامر صدقاً كانت أم كذباً، وعند التحقيق فالذي يسوقه: نصف ليس له، ونصف عليه، فبماذا يتسلى المفلسون؟

والمسكين بقدر ماا حترق في «الكوثري»، تهالك في مشاربه، لكن الشيخ ينشرها عن طريق الفظاظة والمجاهرة، والسرف والمناكدة؛ لأنه في إقليم يسمح له بذلك، والتلميذ تحت وطأة الإقليم، والعيش الرغيد [2] ينشرها بكلمات يلف حبلها على غاربها عن طريق النقل المجرد، وترك النص بلا تعليق ومسلك التشذيب لمدرسة أهل الحديث بالشد على مسلك مدرسة الرأي في القديم والحديث.

فهو في المحاماة عن شيخه ومشاربه: وكيل جَلْد.

إنه بهذا الرضا الفضفاض وهذه الحفاوة البالغة وحال

---

(١) في «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ١٩/٣ قال: «وقال الإمام أحمد في هذا الكلبي: ماظننت أن أحداً يحدث عنه، إنما هو صاحب سمر ونسب» اهـ. وفي بعض النسخ: «سمر وشبه» اهـ.

(٢) سبحان الله متى كانت المجاملة في الاعتقاد ديناً؟ نعوذ بالله من حياة الذل، وعيش العذاب الهون.

الرجل كما أشرت، وفوق ماوصفت في اتجاهاته العقدية والمذهبية والتلميذ مثقل بهذا العناء وحمله ونشره؛ فإن حواشيه «زاملة هذه المشارب» تحمل مخاطر عظيمة على أصول الحديث ومصطلحه، مكدرة صفوها مائلةً بها إلى مسار مدرسة معينة؟

وهذا إخسار في الميزان، والله تعالى يقول: «**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**»، ولن يبلغ السادرون في العصبية مأربهم، وإن أكل البَغَض قلوبهم، والله من ورائهم محيط.

فيا أيها الراغب في السنة : اعتبر اعتبار أولي الأبصار، وكن من كتب عصبة التعصب على تَقِيَّة، فإنها ليست بنَقِيَّةٍ، وفيها دَسَائس خَلَفية [1] ، وَتَبَصَّر أي الفريقين أحق بالأمن من الهوى وغَلَبة العصبية [2]. واحذر العزو إليها فإن فوتها غنيمة والظفر بها هزيمة.

---

(١) قال أبو مسهر في : بقية بن الوليد الحمصي:«أحاديث بقية ليست نقية، فكن منها على تقية»اهـ من الميزان ١/٣٣٢.

(٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبحث حافل في: «منهاج السنة النبوية ٣/٣١ ــ ٤٠» في إيذاء المبتدعة لأهل السنة والتحطط عليهم، والبعثرة في صفوفهم، وتكدير علومهم. ولولا طوله لنقلته هنا لنفاسته. فانظره.

تصور المجاذبة لبردة المساجلة

«في نواقض السلفية»

وبعد : فكيف يسوغ لعبد يتبع الدليل، و يرفض التعطيل والتشبيه والتأو يل، و ينابذ الإشراك والبدع في الدين أن يتكفكف في مهيع هذا : القِذِّيف، الشَّغَّاب، السَّبَّاب الطَّعَّان، الشَّتَّام ضارباً في مجاهل شُبهاته، ومشتبهاته، يحرث كتبه حرثاً، ويحييها قراءة وبحثاً، و ينشر عصارتها في صفوف القراء والدارسين، رافعاً لها على كاهل الرضا والقبول، ناصباً نفسه له ظهيراً، ولها نصيراً. وهي محل التزود والإمداد بأصول النقض لمدرسة السلف في نواقض أر بعة:

١ ــ انتصابه للتقليد الأصم في عصبية سادرة.
٢ ــ وثبته إلى التمشعر غالياً جافياً.
٣ ــ انفلات وكاء عقيدته، في عجم دلائل توحيد الله في عبادته إلى: قبور ية زائفة.
٤ ــ ثم انساب صريف قلمه في التكفير والقذف للأبر ياء، والتنقص للأوفياءِ، لكل ناج من تلك المشارب الثلاثة. وهذه الأربع جرت التلميذ إلى أربع :

١ ــ تنكر لعلماء السلف.

٢ ــ غلائل التقديس المصبغة.

٣ ــ احتضان المبتدعة.

٤ ــ الدَّنِيَّة بالدين.

فانظر كيف التقت حلقتا البطان، إذ هما يرميان عن قوس واحدة لغاية واحدة، فيقبل الأستاذ بأربع، ويدبر متابعه بثمان، منشورة في صدور الطلاب، وأفئدتهم وأفكارهم، والقلوب ضعيفة، والشبه خطافة، وليس في «الرَّبْع» حراك. قال أبو تمام:

مَسَاوٍ لَوْ قُسِمن عَلَى الغواني
لما أُمْهِرْنَ إلاَّ بِالطَّلاَقِ

وإليك تصور المجاذبة فيها على هذا الترتيب، بأحرف تناسب الإجمال عن هاتيك الأمور العظام، تبصرةً لمن كان له عقل رشيد، ولتكون على ما أقول شهيداً :

١ ــ العصبية السادرة :

كيف يرضى «السلفي» باعتماد النقل عن هذا البائس مع إغراقه في العصبية، ولا تحذير؟

أليس الدين النصيحة؟

٢ ـ التمشعر:

وإذا رضي ذلك لأن ما ينقله يعتقده حقاً، فكيف لايبين للناس تهالكه في عتبة التجهم والاعتزال.

وهذا من واجب البيان، ولا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة. أم أنه يلتقي معه في ذلك، كما تفيده عدد من التعليقات والمبالغة في الثناء على فِئَام من المثاقفين لاعتقاد السلف.

ومنه:

تصريحه بأنه «مرجئ» يعتقد الإيمان هو: «التصديق»، ونقل لهذا كلام شيخه، الذي رمى فيه من يعتقد معتقد أهل السنة والجماعة من أن الإيمان: «قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية» ـ رماه بأنه «خارجي».

ومن أجله عرض بالتنقص لأمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري رحمه الله تعالى.

وذلك في تعليقته على «الرفع والتكميل ص/٦٧ ـ ٦٩».

وأثنى على هذا المقطع من كلام شيخه غاية الثناء، وكرره مضاعفاً

٣ ــ القبورية :

وإذا كان يلتقي معه في : التعصب، والتمشعر، فكيف لا يكشف مالديه من الأغاليط الكبار في ((توحيد العبادة))؟ كما في عدد من ((مقالاته)) لاسيما ((محق التقول)) وفي غيرها كثير من البدع والشركيات التي طردها التوحيد.

أم أنه يلتقي معه في هذا بدلالة مافي رسالته الدفاعية ((كلمات)) من أن تقسيم التوحيد لدى السلف إلى: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات: هو تقسيم اصطلاحي؟

وما يؤمن بهذا التقسيم إلا من اعتقده تقسيماً حقيقياً لااصطلاحياً.

وبدلالة ماتقدم حول ((من زار قبري وجبت له شفاعتي)).

وبدلالة مافي رسالته ((صفحات من صبر العلماء ص/٥٧)). إذ قال :

(قال الحافظ الذهبي في ((تذكرة الحفاظ)) في ترجمة الإمام ابن المقرئ محمد بن إبراهيم الأصبهاني ٣/٩٧٣ ــ

٩٧٤: رُوي عن أبي بكر بن علي قال: كان ابن المقرىء يقول: كنت أنا والطبراني، وأبو الشيخ ــ ابن حَيَّان ــ بالمدينة، فضاق بنا الوقت ــ يعني فراغ أيديهم من النفقة ــ فواصلنا ذلك اليوم ــ أي صاموا ذلك اليوم إلى صيام اليوم الذي قبله.

فلما كان وقت العشاء، حضرت القبرَ، وقلت: يارسول الله الجوع!

فقال الطبراني : اجلس! فإما أن يكون الرزق أو الموت فقمت أنا وأبو الشيخ ــ أي قاما يصليان لله تعالى ــ فحضر الباب علوي ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، وقال:

شكوتموني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، رأيته في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم)اهـ.

هذه القصة ساقها الذهبي في ترجمة : ابن المقرىء بصيغة التمريض، على عادة المؤلفين في التراجم كالمؤلفين في «السير» يذكرون مايصح وما هو دونه، وفي نظم عمود النسب:

واعلم بأن السِّيَرا
تجمع ماصح وما قد أُنكرا

لكنهم يسندون، أو يدلون على منزلة المروي ببيان مرتبته، أو سياقه بصيغة التمريض كما هنا وكم من قصة أو رواية من هذا النوع وغيره تساق بأسانيد، وهي مقاطيع أو معاضيل، أو موضوعات وهكذا.

ثم يأتي من لا يتوقى فيبني عليها قصوراً وعلاليَ. وهذه القصة مرفوضة سنداً ومتناً، وحاشا لله أن تكون تلك الصفوة تستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد التحاقه بالرفيق الأعلى، فيصرفون له صلى الله عليه وسلم ماهو من خصائص الله سبحانه. والله أعلم.

٤ ـ التكفير والقذف :

وإذا كان يلتقي معه في ثلاثياته هذه، فلماذا لا ينفي عن أعراض علماء الإسلام ـ ممن أكل شيخُه خبزه بلحومهم ـ بما شنه عليهم من: التكفير، والإلحاد، والقذف....... في تلكم الصفحات الدامية، من غير رفق ولا هوادة:

يكفر مسلماً، و يلوث عرضاً، و يدنس شرفاً، في سبيل عصبية آفنة، ومشارب كدرة.

وما هذا والله إلا صنيع من تجردت نفسه من الأدب والحياء مع رب الأرض والسماء.

«وبئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد».

لا أظن المجاذب يجد للسكوت عن هذا مخرجاً؟؟

وله مجلس مشهود في المدينة النبوية بشهادة بعض علمائها الجامعين وقرائها المشهورين ـــ من أنه قال في حق الإمام مالك رحمه الله تعالى: «ذاك دَعِيٌّ». ومن وراء هذا:

استعجمت دارمي لا تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات إخبار

٥، ٦ : التنكر لعلماء السلف»، «غلائل التقديس المصبغة»:

وإذا كان يلتقي معه في رباعياته هذه ـــ وأعيذ بالله كل مُسلم من التتابع في غَير حق ـــ فلماذا يرغب في النزول عن العلو؛ لأن جميع ماالديه من باطل، وحق؛ له سلف من طرازه في «الباطل»، وفي الحق، لدى الذؤابة والسنام من السلف الأماثل؟

فلماذا قطع الوصال بحبل السلف من هذا الباب، كأنما مَرَّ على الإسلام فجوة عظيمة لم يقم بِسَدِّهَا إلاَّ[1]:

(١) ألقاب الإهداء في فاتحة «الرفع والتكميل».

«أستاذ المحققين، الحجة، المحدث، الفقيه، الأصولي المتكلم، النظار، المؤرخ، النقادة» إلى آخر زخرف من الألقاب في مواضع متكاثرة، يقفوها من شيخه المعاني المروعة في خدش السنة، ورفع الأسنة على أهل السنة بالسب والتجديع، وتصحيح المنكر، وإنكار الصحيح. كل هذا لسواد مشاربه؟.

و يتبع هذا من التلميذ: سكوت طو يل، ولا تعقيب ولا تنبيه.

ألا يتردد هذا المسلك بين الغش، والإقرار. إن لم يكن هو عين الإقرار.

٧ ــ احتضان المبتدعة :

ومن قال : آخذ ماصفى، وأدع ما كدر، قيل: هذا غير مقبول فيمن غلا وجفا، ونأى عن الصدق والتُّقى، مع السكوت عن مسالكه في: التضليل والردى. والمعقود في: اعتقاد أهل السنة والجماعة أنه لا ولاء إلا ببراء؛ فلا موالاة للسنة إلا بالبراءة من البدعة، ولا موالاة لعلماء السنة وأهلها، إلا بالبراءة من علماء المبتدعة وحملتها، وهلم جرا.

فالمنابذة مستحكمة، والرحم جَذَّاء بين السنة والفعلات

الشنعاء، والنهي عن المنكر من واجبات الشريعة الغراء، وكل امريء بقدر مافيه يكون الولاء والبراء، ويناصح وينبه على خَطَئِه، وخطله، على ضوء شريعة رب الأرض والسماء، وأيضاً فلم يجر هذا منه في حق أعداد من العلماء بل تحطط على الشيخين: ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهما وأرشد إلى صحائف تحمل السَّخَائم والردى.

فهل يصدق من قال : بأنه تائب من البدعة، وهو محتضن لحاملها، متنكر لمفترعها.

فهذا العلامة المعلمي، م سنة ١٣٨٦هـ رحمه الله تعالى: له جهود في خدمة السنة وعلومها، كما في «التنكيل» و«طليعته»، وفي: تحقيقاته الحافلة في كتب في: الرجال، والأنساب، والموضوعات، أبدى يَرَاعُهُ فيها بَرَاعةً وَدُرَراً في أصول التخريج، وقواعد الجرح والتعديل، في جهود انتشرت الاستفادة منها في كتب المعاصرين.

ولم نر التلميذ يذكره بخير سوى مرتين، مرة لنقده، وأخرى للتحجج به على بعض أقرانه السلفيين؟

فبماذا يفسر هذا الهجران والتنكر لعالم سلفي؟
وبماذا تفسر تلك الحفاوة والاحتضان؟

نعم لا يجتمع الولوع بين المتضادين فكما لا يجتمع في قلب عبد حب القرآن وحب الغِناء، فكذلك لا يجتمع حب السنة والبدعة ولا حب السني والمبتدع.

والذي في قبضته ولوعه بهذا البائس.

قال العلامة محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى في «رسائل الإصلاح» ١٣/٢: (وكثيراً ما يقاس الرجل بأصدقائه، فإن رآه الناس يصاحب الفساق والمبتدعين، سبق إلى ظنونهم أنه راضٍ عن الابتداع ولا يتحرج من الفسوق. وقد صرح بعض الشعراء أنه ترك مودة رجل من أجل أنه يصاحب الأراذل من الناس فقال:

يزهدني في ودك ابن مساحق
مودتك الأرذال دون ذوي الفضل)اهـ.

٨ ـ الدَّنِيَّةُ بالدين :

فإن قيل : إنه على مذهب السلف، قيل : لم يحصل في هذا ما يؤيده من الحواشي في بابَي : الأسماء والصفات والعبادة.

فما بقي إلا سلفه على مشربه.

وكم من مناسبة مرت ولم يحصل له أي تقرير.

ومن ينحو في الاعتقاد منحى السلف، المعروف عند الإطلاق، ينفض يديه من المبتدعة، و يغسل كتبه من الخلفية، و يكف قلمه عن المدح، والتمجيد، والحفاوة بمن يلعن السلف، و يسبهم، و يكفرهم.

وإذا كان شيخه يكفر أهل هذه الديار الكريمة السائرين على اعتقاد السلف الصالح في قديم الدهر وحديثه ممن يصفهم، و يصف أئمتهم:

بالحشوية، والمجسمة، والبربهارية، والشرائحية والتيمية، والوهابية، وزعيم البادية، و بقايا الوثنية، والصابئة الحرانية. وهكذا.

فإن كان التلميذ لايرتضي هذا فكيف لاينفيه، وكيف لايسقط هذا «الجركسي الناقد» من حسابه؟

وإن كان يرتضيه، فكيف يسوغ له ديناً وشرعاً أن يعيش بين من يعتقد كفرهم، وأنهم ــ كما يقول شيخه ــ بقايا نحل محاها الإسلام، كما مَرَّ؟

فبأي المسلكين يحمي دينه، و يصون ماء وجهه؟

فإن قيل : بدا منه هذا في رسالته «كلمات».

قيل : ليس فيه دليل واحد قائم بوضوح وجلاء يفيد هذا. وليس فيه حرف واحد يفيد التبري من هذه المشارب؟

وهذه الرسالة دفاعية، لم تحصل ابتداءً، وإنما بعد «التوضيح» الذي كاد أن يعمل عمله، فحرر هذه على سبيل التَّضَنِّي، والدفاع الشخصي، ومخاتلة نفس القارىء، ومباهتة أهل السنة على مرأى ومسمع، في ورقات بعين عابسة، ونفس ساخطة وأدلة مكبة على وجهها بأسلوبٍ حَمَّالِ أوجهٍ، يخذل أولُه آخرَه، وآخرُه أولَه، لصد الإثارة عن الإغارة. ومن مارس لغة المرتاب عرفه في لحن خطابه. وكيف يصافحُ أَهْلَ السنة من يداه مشغولتان بحمل المبتدعة؟ فعسى الله أن يكف البأس عن هذا القطر وكافة الأقطار فإنه قد عرف على مدى التاريخ: توالي النذر من الطائفية، وأن تعدد الاتجاهات والتموجات العَقَدية والفكرية في البلد الواحد: تورث انشطار أهله، وصراعهم، وضعفهم، وأن دين الإسلام واحد لايقبل الفرقة ولا الانقسام، ويأبى هذه النواقض أشد الإباء، فيجب على من بسط الله يده أن يقلم أظافير الفتن، ويقمع نوابت الضلال، وطوبى له في حماية الإسلام والمسلمين:

أرى خلل الرماد وميض نارٍ ويوشك أن يكون لها ضرامُ

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أوله كلام

لئن لم يُطْفِها عقلاء قوم يكون وقودَها جثثٌ وهامُ

وكذلك تجب إماطة الأذى عن الطريق!

هذا مجمل من العرض بحجة ظاهرة، ومراتب من الإلزام ببينات قاهرة، تكشف البعثرة المندسة في صفوف طلاب الحديث، فعلى طلبة العلم: التيقظ من كل مسرف على نفسه، ومنابذته وما كتب.

وجميل بمن سمع الحق: أن يقيم الوزن بالقسط فيتبعه بوضوح وجلاء، فالاعتقاد لا يحتمل المجاملة ولا المتاجرة، ولا نثر ماء الوجه وإهدار صيانته.

فليصل العبد قلبه بربه.

وليقطع أسباب مثل تلك المحبة الجامحة به إلى الهلكة.
وليبحث : ليعلم.

وليكتب : ليفيد.

وليـنـقـد : لنصرة الحق والحقيقة المستقيمة على الطريقة بمثل ماكان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

ومـن حاد : فسيكون علمه وبالاً، وبحثه ضلالاً، وجهده هباءً، نعوذ بالله من الشقاء، والفتن الصماء.
وإن وراء الأكـمـة رجـالاً، وللـحـق أنـصـاراً، **«وسـيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»**.

والحمد لله رب العالمين.

تنبيه :

بـعـد عرض هذه الرسالة على بعض العلماء أشار إلى أنه سبـق نحـو من هذا الإيقاظ في جريدة الدعوة ص ١٢ عدد ٣٢٣ في ١٣٩١/٨/٢٨هـ فنلفت إليه الأنظار.

الفهرس